الأَديبْ و المُفكِّرْ الرَّاحِل
رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَنْد
عودة إلى الماضـي

الحلقـة الثمانون

مقدمة البرنامج.....

مؤثرات.....

مساعد: أيها الأخوة.. من حقكم علينا وقد نقلت إليكم صورة عن المحاورات التي جرت حول مشكلات العصر التي واجهت وتواجه غيركم من أبناء الشعوب التي تقدّمت في ميدان العلم التطبيقي، إنّ من حقكم علينا أن نصف لكم الطريق التي يحسن بنا جميعا أن نجتازها فتوصلنا إلى الشاطىء الأمين.

سليمان: ونحن يا أستاذ مساعد اذ نشكر لك وللأستاذ سالم الجهود التي بذلتماها لإيضاح الرؤية ووصل ما انقطع من خيوط الفكر عندنا والعودة بنا إلى الماضي الذي يرمز إلى الحق نحب أن نلفت نظريكما إلى حقيقة هامة.

سالم: وما هي هذه الحقيقة يا سليمان؟

سليمان: هي هذه الضغوط الثقيلة التي تثقل كواهل الناس في عصرنا الحاضر فتحول دون أن يرتفعوا إلى المستويات العالية المطلوبة لاستيعاب الآفاق الواسعة في المعرفة..

جاسم: زيادة في إيضاح الصورة التي قدّمها أخي جاسم أقول لكما: هذه الضغوط الثقيلة تتمثل في فعالية المنجزات التي حققتها حضارة الصناعة والكشوف العلمية الحديثة.. إنّ هذه الفعالية هي التي تشد انتباه الأجيال الجديدة وترغمها على رؤية بعد واحد في الحياة هو البعد المادي للأشياء بل والمعاني أيضاً.. فكيف نحررهم من تأثير هذه الضغوط؟

سالم: هل تعتقد يا جاسم أنّ البشرية قد افتقدت هذه الضغوط المتمثلة في فعالية المنجزات المادية في عصر من عصورها؟ فلو أنك ألقيت نظرة على كل الحضارات التي تحدث عنها التاريخ وقيد نوازع الناس فيها وسجل اتجاهاتهم الفكرية والعاطفية لوجدت الشيء نفسه والظاهرة ذاتها.

مساعد: ولذلك فإن ما تظنونه أيها الأخوة ظاهرة موقوفة على هذا العصر هو مجرد وهم.. كل عصر من العصور واجه محنة الاختيار.. وطلب من الناس فيه أن يتحرّروا من الفكر الذي تقيده مطالب الغريزة المباشرة وأن يستعيدوا توازنهم الفطري.. فإذا وجد اليوم من يزعم بأنّ الفعالية الوحيدة هي فعالية المادة وأن لا شيء قبلها أو بعدها فقد وجد مثل ذلك في كل عصر.

سليمان: ألا نستطيع التعرف إلى هذه النماذج التي ظهرت في العصور السابقة ومتى كان ذلك؟

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضـان عبدالرحمن لاوند (سـيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

مساعد: النماذج يا سليمان كثيرة جداً.. وقد تحدث عنها القرآن الكريم الذي جاءت فيه صورة كاملة مستوعبة لكلّ الاتجاهات والانحرافات التي اتصفت بها مئات قاومت دعوة الإسلام في عصر كلّ نبي. فنجد مثلاً في سورة الجاثية قوله عز وجل: "وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ"..

سالم: وفي صورة أخرى تبدو بها الدنيا في كل ما يرمز إليها من القوة والفعالية والمال والسلطان نجد حجمها الحقيقي في قوله عز وجل من سورة محمد: " اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ"..

أوَليست هذه الصورة هي التي تواجهنا في كلّ عصر من العصور حيث يزيغ فريق من الناس فيخيل إليه أنّ الثروة والقوة والسلطان لن تبيد أبداً فلا تلبث الأحداث أن تكشف غروره بها ووهمه حولها؟

جاسم: حسن جداً.. الآن وقد تعرضنا لهذا الجانب من الموضوع فما هو الحل الذي قدّمه كتاب الله؟

مساعد: الحل يا جاسم كامن في الموقف الاعتقادي الأساسي الذي ينطلق منه الإنسان أي إنسان.

سليمان: ماذا نفهم من عبارة "الموقف الاعتقادي الأساسي"؟..

مساعد: هناك يا سليمان فريق من البشر عقله في معدته وقلبه في غرائزه الهابطة وشهواته.. وهناك فريق آخر عقله يستوي فوق المعدة وقلبه ينبض لنوازع أرفع من نوازع الغرائز الهابطة والشهوات.

سالم: ولإيضاح الفرق بين الفريقين نقول: هناك فريق عميت بصيرته ينظر ولا يرى.. ويملك عقلاً ولا يفكر ويحمل قلباً ولا يعي.. بينما الفريق الآخر أوتي نوراً في عينه ونوراً في عقله ونوراً في قلبه. هذا النور هو الذي يساعده على أن يستبين الحق من وراء الصورة السرابية للدنيا الحافلة بالغرور.

جاسم: بين يدي آية من كتاب الله وقعت عليها مصادفة في سورة هود أظنّ أنها تساعدنا على فهم الرأي الذي تطرحانه أمامنا.

مساعد: فما هي هذه الآية يا جاسم؟

جاسم: إنها قوله عز وجل: "وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ"..

سليمان: يبدو لي أن هذه الآية الكريمة قد اختصرت الموضوع مع وضوح تام في تقديمه.

سالم: كيف ذلك يا سليمان؟

سليمان: النبي صالح عليه السلام هنا في هذه الآية يذكر الناس بالحجم الواقعي لثلاثة أسماء: الله والإنسان والأرض.. فالله هو الإله الخالق. أنشأ الإنسان من الأرض ثم مكنه من أن يستعمرها وجعل عمارتها بعضاً من نعمه التي أنعم بها عليه.

جاسم: وبدلاً من أن تبقى الأرض بكل ما ترمز إليه من مال ووسائل معاش ومصدر أرزاق في حجمها الواقعي إذا بها تتضخم وتنمو أكثر فأكثر فتصبح غرضاً في ذاتها بعد أن كانت مجرد شيء من الأشياء.. وكلما زاد حجمها في نفس الإنسان ضعفت علاقته بالله الذي أنشأه منها ثم سخرها له.

مساعد: أحسنتما إذ قدّمتما هذه الصورة الرائعة للإنسان الذي افتقد النور في عينه وعقله وقلبه. وبدلاً من أن يحتفظ بمكانته الرفيعة فوق مستوى التراب وما ينشأ عن التراب هبط إلى ما دون هذا التراب وعميت بصيرته فلم يعد يرى شيئاً غيره.

سالم: وبتعبير آخر.. بدلاً من أن يحتفظ هذا الإنسان بكرامته التي فضل بها على كثير ممّن خلق الله تعلقت جوارحه بالأشياء المتحوّلة عن التراب.. فأصبحت السيارة والثلاجة الكهربائية والطائرة وأدوات المنزل وأسباب الراحة المادية وكلّ ما يتصل بها من شهوات الجسد وتشنجات الغرائز غاية في ذاتها.

مساعد: وهنا اسمحوا لي أن أسألكم جميعاً: ما هو الفرق بين الإنسان الوثني الذي يظنّ بأنّ الصنم المعبود قادر على توفير الثروة والنفوذ والقوة له وبين الإنسان الذي يظنّ بأنّ السلع المصنوعة في حضارة اليوم هي القادرة على توفير الثروة والنفوذ والقوة له؟ أوَلا يتساوى الإنسانان في مستوى النظر إلى الأرض وأشيائها؟

سليمان: صدقت يا أستاذ مساعد.. الحقيقة أننا لم نسجل هذه الملاحظة قبل اليوم..

جاسم: وعلى ذلك فإنّ مأساة الإنسان الذي يعاني ضغوط التكنولوجيا وأشيائها المصنوعة بها في نفسه هي نفسها مأساة الإنسان الذي كان يعاني ضغوط وما يزال في كثير من بقاع الدنيا ضغوط ألوان من الأصنام والأوثان وما في معانيها من أشياء الأرض.

سليمان: ويبدو لي أنّ تلاوة ما بقي من الحوار بين ثمود وصالح في الآيات التالية يساعدنا على توضيح الرؤية.

سالم: صدقت يا بني تعالوا نقرأ بقية الحوار.

جاسم: قال عز وجل بعد الآية السابقة: " قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا ۖ أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ** قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ"..

مساعد: نقف قليلاً عند هاتين الآيتين لنستبين ظاهرتين اثنتين. الظاهرة الأولى أن ثمود رفضت دعوة صالح لأنها اعتبرتها متعارضة مع ما تعوّدته من عبادات موروثة وعلاقات موصولة بتراب الأرض.. ولما كان التغيير في حاجة إلى قدر من الوعي والذكاء والشجاعة فقد رفضت ثمود التغيير لأنها لا تملك هذه الصفات.

سالم: وأما الظاهرة الثانية فهي عودة النبي إلى توكيد الحق الذي أتى به حين قال لثمود: أرأيتم أيها القوم وقد جاءتني بيّنة من ربي وآتاني نبوة من لدنه فعرفت بها الحق فهل إذا عصيته باتباعكم أجد من ينصرني من الله؟ إنّني إن فعلت هذا لا تزيدونني غير خسارة وضياع.

سليمان: في هذه الحالة لا يوجد غير مخرج واحد.

مساعد: وما هو هذا المخرج في رأيك يا سليمان؟

سليمان: هو أن يثبت لهم النبي صالح عليه السلام صحة ما أتى به ويكشف لهم عملياً عن واقعة الخلق المعجز.

سالم: صدقت يا سليمان.. وهذا ما فعله النبي صالح عليه السلام حينما أخرج لهم الناقة آية على خلق الله. وأمرهم بالاتعاظ بها واحترامها فلا يمسّوها بسوء. لكنّ ثمود لم تفعل لسبب بسيط هو أنها لم تعِ الحكمة من إخراج الناقة إليها فقتلت الناقة بيد واحد من أفرادها فمحقت عليهم لعنة الله..

مساعد: هكذا يتبين لكم أنّ القضية كلّها هي قضية الموقف الذي يتّخذه الإنسان من أشياء الأرض. فإن وجد فيها مجرد نعم مسخرة له من قبل الله فقد احتفظ كل شيء في نظره بحجمه الحقيقي.. الله الخالق.. الإنسان الذي أنشِيء من الأرض.. ثم الأرض بكلّ ما فيها المسخرة له.. أما إذا كان غير ذلك فهي الضلالة أكانت أشياء الأرض ناقة أو كانت سلعاً مصنوعة لا فرق في ذلك أبداً.. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.. والسلام عليكم ورحمة الله..

موسيقى نهاية.....